

## المراد بالمتكلمين.

تعددت التعاريف لعلم الكلام، وبيان حده وحقيقته، وخلاصة هذه الأقوال: أن علم الكلام: هو العلم الذي يقوم على إثبات العقائد الدينية عن طريق الأدلة العقلية.

والمتكلمون وأهل الكلام هم: كل من سار على هذا المنهج في مسائل العقيدة استدلالاً وتلقياً<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا فيدخل في المتكلمين وأهل الكلام كل من سلك المنهج الكلامي في أبواب العقيدة كالجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة<sup>(٢)</sup>، والماتريدية<sup>(٣)</sup> ونحوهم.

## سبب تسميتهم بهذا الاسم.

لقد اختلف المتكلمون أنفسهم في نشأة مصطلح المتكلمين، وفي سبب تسميتهم وتسمية علمهم بهذا الاسم.

ف قيل في سبب ذلك؛ لأن أظهر مسألة تكلموا فيها وتقاتلوا عليها هي مسألة كلام الله -عز وجل- كما ذكر الشهرستاني في كتابه الملل والنحل<sup>(٤)</sup>.

ولهذا استشهد صفي الدين الهندي<sup>(٥)</sup> في مناظرته لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بكلام الشهرستاني، حيث قال: (أول مسألة اختلف فيها المسلمون مسألة الكلام، وسمي المتكلمون متكلمين لأجل تكلمهم في ذلك، وكان أول من قالها عمرو بن عبيد).

ولكن رد شيخ الإسلام ابن تيمية هذا القول، حيث قال معقّباً عليه: (قلت: الناس اختلفوا في مسألة الكلام في خلافة المأمون، وبعدها في أواخر المائة الثانية، وأما المعتزلة فقد كانوا قبل ذلك بكثير في زمن عمرو بن عبيد بعد موت الحسن البصري في أوائل المائة الثانية، ولم يكن أولئك قد تكلموا في مسألة الكلام وتنازعوا فيها، وإنما أول بدعتهم تكلمهم في مسائل الأسماء والأحكام والوعيد).

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/١٧٨).

(٢) الأشاعرة: هم المنتسبون إلى أبي الحسن الأشعري في مذهبه الثاني بعد رجوعه من الاعتزال. وعامتهم يثبتون سبع صفات فقط. وينفون عن الله علو الذات. ويقولون إن الإيمان هو التصديق. ومن أشهر كتبهم: الإرشاد للجويني، والمحصل للرازي، والمواقف للإيجي. انظر: الملل والنحل (١/٩٤-١٠٣). ومذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي (١/٤٨٧-٤٧٨).

(٣) هو أتباع أبي منصور الماتريدي، وهم فرقة مصدرهم في تلقي العقيدة العق، ولم يثبتوا لإثمان صفات، ويرون أن الإيمان هو التصديق، ونفوا زيادة الإيمان ونقصانه، وحرّموا الاستثناء فيه، ويرون أن المعاصي لا أثر لها على أصل الإيمان. انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص(٣٣٢). والماتريدية دراسة وتقويماً، لأحمد الحربي، ص(٤٦٠-٤٦٤).

(٤) انظر: الملل والنحل (١/٣٠).

(٥) هو: محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموي الهندي، (٦٤٤-٧١٥). من محققي الأشاعرة.

انظر ترجمته في: البداية والنهاية، (٤/٦٥). وطبقات السبكي، (٩/١٦٢).

فاعترض صفي الدين الهندي بقوله: (هذا ذكره الشهرستاني في كتاب الملل والنحل) فرد عليه شيخ الإسلام بقوله: (الشهرستاني ذكر ذلك في اسم المتكلمين لم سموا متكلمين، لم يذكره في اسم المعتزلة... وأيضاً فما ذكره الشهرستاني ليس بصحيح في اسم المتكلمين. فإن المتكلمين كانوا يسمون بهذا الاسم قبل تنازعهم في مسألة الكلام، وكانوا يقولون عن واصل بن عطاء إنه متكلم ويصفونه بالكلام، ولم يكن الناس اختلفوا في مسألة الكلام)<sup>(١)</sup>.

وقيل: لأن عنوان مباحثهم في كتبهم كان قولهم: الكلام في كذا وكذا.

وقيل: لأن مبني علومهم على الكلام في المناظرات، وقيل غير ذلك.

وهذا الإطلاق من جهة إطلاق المادحين لهم من المتأخرين.

وأما إطلاق السلف هذا المصطلح على المتكلمين -وهو الجانب المذموم- فبسبب كثرة جدالهم في العقائد وكثرة إيراداتهم العقلية بعيداً عن النصوص الشرعية في المسائل التي مبناهما على التسليم بنصوص الشرع.

تنبيه: ومما ينبغي التنبيه له أنه قد شاع عند عامة المتكلمين - ولا سيما المتأخرين منهم - تسمية علم العقيدة بعلم الكلام<sup>٢</sup>، ولا شك أن هذه التسمية خاطئة، وليس لها أصل من كتاب ولا سنة، ولا أثر عن أحد من سلف هذه الأمة الصالح، بل هو من إطلاقات المتكلمين، ولئن تحقق معنى هذه التسمية وصح إطلاقها على كتب المتكلمين أنفسهم، فلا يصح إطلاق هذه التسمية على كتب السلف الصالح، كالسنة للإمام أحمد، وخلق أفعال العباد للبخاري، والتوحيد لابن خزيمة، والشريعة للأجري، ونحوها، وكذلك لا يصح تسمية أصحاب هذه الكتب علماء كلام، لأنهم ليسوا من الكلام في شيء، ولأن عقائدهم وكتبهم مبنية على الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة لا على القواعد الكلامية والمقدمات المنطقية.

### نشأة علم الكلام والعوامل التي أثرت فيه<sup>٣</sup>.

لقد كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يتلقون من النبي صلى الله عليه وسلم نصوص الكتاب والسنة، في باب الأسماء والصفات وسائر المسائل العقيدية والعملية، فيؤمنون بها على وفق المنهج الذي رسمه الله عز وجل، ثم سار التابعون لهم بإحسان على هذا المنهج.

واستمرت الأمة المسلمة على هذا المنهج، على عقيدة صافية، حتى طرأ عليها ما يسمى بعلم الكلام. وقد حدث هذا في القرن الثاني الهجري تقريباً عندما تُرجمت كتب الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية في بلاد المسلمين، وشاعت في أيديهم، فاستغل أهل الأهواء هذه الفجوة فتلقفوا هذه العلوم وبنوا عليها مقدمات عقلية أدخلوها

(١) مناظرة حول الواسطية، مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى (١٨٣/٣-١٨٤). والعقود الدرية، ص(٢٣٥).

<sup>٢</sup> من ذلك: شرح المقاصد في علم الكلام، للتفتازاني، ت: ٧٩١. وشرح البيجوري على جوهر التوحيد، ص(٣٩).

<sup>٣</sup> انظر: حول نشأة علم الكلام: كتاب صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام للسيوطي ص(٦-١٢). عباس أحمد الباز، مكة المكرمة. ولوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية للسفاريني (١-٩-١٢).

في مباحثهم، وبنوا عليها قواعد بدعية، فاتسع الخرق على الرافع، واشتبه الحق بالباطل، فدخل بسبب ذلك شر عظيم وبلاء جسيم، وانفتح باب الجدل في أمور العقيدة، وكثر الاختلاف بين المسلمين<sup>(١)</sup>.

### العوامل التي أثرت في نشأة المنهج الكلامي:

(١) الالتقاء بأصحاب الديانات والمذاهب الأخرى، والتأثر بهم، ودخول الزنادقة من أبناء البلاد المفتوحة في الإسلام نفاقاً بغية إفساد عقيدة المسلمين.

بعد الفتوحات الإسلامية بدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً من سائر الأديان والنحل، وكان من بين تلك الجموع أناس لم ترسخ العقيدة في قلوبهم، ولم يتمكن الإسلام من نفوسهم، وكانوا قد دخلوا الإسلام وهم يحملون شيئاً من رواسب دياناتهم ونحلهم السابقة، مما كان له الأثر في إثارة بعض المسائل البدعية ويكفي لذلك مثلاً ما حصل على يد غيلان الدمشقي الذي كان قبطياً فأسلم، واشتهر عنه الكلام في القدر.

ومن ناحية أخرى فإن هذه الفتوحات الإسلامية قد أثارت غيظ أعداء هذا الدين، ففكروا في كيفية الكيد له، فأرأوا أن كيده من داخله أنجع وأفتك، فتظاهر قوم منهم بالدخول في الإسلام، وقاموا بإثارة الفتن والخلافات، وتشكيك المسلمين في دينهم، وإبعادهم عن صفاء عقيدتهم. ولعل أبرز مثل يصور هذا الكيد ما حصل على يد عبد الله بن سبأ اليهودي<sup>٢</sup>.

كما أن اختلاط المسلمين باليهود والنصارى ممن بقي على دينه من أهل تلك الديار المفتوحة كان له الأثر فيما بعد على عقائدهم وتفكيره، وإثارة المسائل التي لا طائل تحتها<sup>٣</sup>.

كما أن مناقشة أهل الكلام لبعض هؤلاء مع عدم العلم الشرعي العاصم من الانحراف أدى ذلك إلى التزام أهل الكلام ببعض اللوازم الباطلة أثناء الجدل معهم. وقصة الجهم بن صفوان في مناقشته للسُّننية توضح ذلك بجلاء<sup>٤</sup>.

(٢) حركة الترجمة. لقد كانت الترجمة من أهم العوامل - إن لم تك أهمها - في نشأة المنهج الكلامي في العقيدة، وذلك لما أثارته وأفرزته ونشرته من المصطلحات والمباحث الفلسفية والمنطقية البعيدة عن الكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة الصالح أسلوباً ومضموناً.

فمثلاً لم تعرف مصطلحات: الجوهر<sup>٥</sup>، والعرض<sup>٦</sup>، والظفرة<sup>٧</sup>، ونحوها بالمفهوم الكلامي إلا بعد ترجمة كتب الفلسفة والمنطق.

<sup>١</sup> انظر: كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، للمقريزي (٣٥٦/٢-٣٥٩). حيث ذكر نشأة علم الكلام، والمراحل التي مر بها.

<sup>٢</sup> عبد الله بن سبأ، رأس الطائفة السبئية، كان يقول بألوهية علي رضي الله عنه، وأصله من يهود اليمن، تظاهر بالإسلام، وجهر ببدعته. انظر في ترجمته: ميزان الاعتدال (٤٢٦/٢). ولسان الميزان (٢٨٩/٣-٢٩٠). والأعلام (٢٢٠/٤).

<sup>٣</sup> انظر: درء التعارض (٩٤/٧).

<sup>٤</sup> انظر: شرح السنة للالكائي، (٣٣٨/٣).

<sup>٥</sup> الجوهر: هو ما قام بنفسه. انظر: التعريفات للجرجاني، ص (٧٩). والمعجم الوسيط (١٤٩/١).

<sup>٦</sup> العرض: الموجود الذي لا يحتاج في وجوده إلى موضع، أي: محل يقوم به، كاللون، المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به. انظر: التعريفات للجرجاني، ص (١٤٨). والمعجم الوسيط (١٤٩/١).

والأمر الذي يلفت الانتباه أن أكثر المترجمين لكتب الفلسفة والمنطق كانوا منحرفي العقيدة، فهم ما بين زنديق حاقد، ونصراني متربص، ومرترق متهالك، ومن نظر في أسمائهم وسيرهم تبين له حقيقة أمرهم<sup>٢</sup>.

(٣) الجهل بالكتاب والسنة والبعد عنهما. فمن أهم أسباب انحراف منهج أهل الكلام عن جادة الصواب، ووقوعهم في تناقضات وبدعيات، بعدهم عن الكتاب والسنة، وجهلهم بهما، بل إنك لتجد أحدهم يعلم ويفقه ويحفظ كلام المناطقة والفلاسفة، ويعتني به أكثر من اعتنائه بكلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا أمر مشاهد وظاهر في القديم والحديث.

(٤) ضعف الإيمان في النفوس، واتباع الهوى. وهذا السبب يعتبر من الأسباب الرئيسة في انحراف المنهج الكلامي، وذلك لما أفرزه هذا الضعف من نتائج سلبية، ظهرت من خلال تناول مسائل العقيدة بالبحث، فإذا ضعف إيمان الشخص قلَّ تعظيمه لكلام ربه، وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم، وسهل عليه معارضتهما بالحجج العقلية والشبهات الإلحادية، بل لا يجد حرجاً في رد كل حديث، وتحريف كل معنى آية لا توافق هواه ومعتقده، وربما تسليح بكلام الزنادقة من المناطقة والفلاسفة، وسائر أهل الأهواء والمشارب المنحرفة.

كما أن ضعف الإيمان يجب للإنسان كثرة الجدل والمناظرة بالباطل، لا لأجل الوصول إلى الحق، بل يخوض المعارك الكلامية بهدف الانتصار على الخصم، ولو تبين له الحق مع خصمه.

كما أن ضعف الإيمان يصد عن إتباع الحق، ويزين للنفس الأهواء والآراء الباطلة. ولهذا المستعرض لسير كثير من أئمة الكلام يجد عندهم من الجون، والانحراف الخلقى، والعقدي، ومعارضة النصوص الشرعية الشيء الكثير<sup>٣</sup>، وهذا يكشف شيئاً من سبب انحرافهم.

### من صفات المتكلمين.

لقد اتصف المتكلمون في القديم والحديث بصفات عديدة تدل على انحرافهم وفساد مذهبهم. وظهرت تلك الصفات في كتاباتهم وحياتهم؛ بل واعترف بها بعضهم. فمن تلك الصفات:

(١) البعد عن الكتاب والسنة، والجهل بهما. فلقد عُرف عن المتكلمين في القديم والحديث قلة تعظيمهم لكلام الله وكلام رسول ﷺ؛ بل إنك تجد أحدهم يعلم ويحفظ كلام المناطقة والفلاسفة، ويعتني به أكثر من اعتنائه بكلام الله ورسوله ﷺ. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ومن المعلوم أن المعظمين للفلسفة<sup>(٤)</sup> والكلام، المعتقدين لمضمونهما

<sup>١</sup> الطفرة: يقصد بها: تجويز أن يكون الجسم الواحد في مكان ثم يصير المكان الثالث، ولم يمر بالثاني على جهة الطفرة.

انظر: مقالات الإسلاميين (١٩/٢)، والفصل لابن حزم (٥/٦٤-٦٥).

<sup>٢</sup> انظر أسماء جملة منهم، وشيئاً من أخبارهم في: الفهرست ص (٣٤٠-٣٤٢). وضحى الإسلام (١/٢٢٣-٢٢٣، ٢٨٣، ٢٢٧).

والفلسفة الإسلامية - دراسة ونقد، ص (٥٥-٥٨).

<sup>٣</sup> انظر سير بعض أئمة الكلام في: تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، ص (١٥، ٣٥، ٣٦). والفرق بين الفرق، ص (١٣١-١٣٤).

(٤) الفلسفة: كلمة يونانية تعني (محبة الحكمة). انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٥٨/٢). وتاريخ الفلسفة اليونانية، ليوسف كرم، ص (١٧-١٩). وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - الفرق بين الفلاسفة والمتكلمين، فقال في درء تعارض

هم أبعد عن معرفة الحديث، وأبعد عن اتباعه... وهذا أمر محسوس؛ بل إذا كشفت أحوالهم وجدتهم من أجهل الناس بأقواله ٣ وأحواله، وبواطن أمورهم، وظواهرها. حتى لتجد كثيراً من العامة أعلم بذلك منهم، ولتجدهم لا يميزون بين ما قاله الرسول ٣ وما لم يقله؛ بل قد لا يفرقون بين حديث متواتر عنه، وحديث مكذوب موضوع عليه... حتى تجد في أئمة علماء هؤلاء من لا يميز بين القرآن وغيره؛ بل ربما ذكرت عنده آية فقال: لا نسلم بصحة الحديث. وربما قال لقوله عليه الصلاة والسلام كذا، وتكون آية من كتاب الله، وقد بلغنا من ذلك عجائب، وما لم يبلغنا أكثر<sup>(١)</sup>.

ولقلة تعظيمهم لنصوص الكتاب والسنة زعموا أنها لا تفيد اليقين<sup>(٢)</sup> وعارضوها بأوهام العقول، بل صرح من صرح منهم أن الأخذ بظواهر النصوص الشرعية من أصول الكفر<sup>(٣)</sup>. عياداً بالله.

وهذا البعد عن الكتاب والسنة من أهم أسباب انحرافهم عن الصواب، ووقوعهم في كثير من التناقضات والبدع الكفرية، ولهذا تجد أن عقائدهم وكتبهم مبنية على الاستدلال بالقواعد الكلامية والمقدمات المنطقية لا على الاستدلال بالنصوص الشرعية.

(٢) جهلهم بمذهب السلف الصالح، فكما أنهم يجهلون الكتاب والسنة، فكذلك خبرتهم بمذهب السلف الصالح ضعيفة<sup>(٤)</sup>.

(٣) وقوعهم في التناقضات، فالتكلمون أكثر الناس تناقضاً وانتقالاً من قول إلى قول، فتجد أحدهم يجزم بالقول في موضع، ثم يجزم بنقيضه في موضع آخر<sup>(٥)</sup>.

(٤) كثرة الشك والحيرة والاضطراب، وعدم الوصول إلى اليقين.

العقل والنقل (١/٨، ١٢): (إن الفلاسفة يسلكون طريق التبديل مثل المتكلمين، ولكنهم أهل الوهم والتخييل، والتكلمون هم أهل التحريف والتبديل). وانظر الصواعق المرسله (٢/٤١٨).

ولهذا قيل في الفرق بين الفلسفة وعلم الكلام بأن الفلسفة تبحث عن الحقيقة، وعلم الكلام يدافع عن الحقيقة الدينية. انظر: الإمام الغزالي وعلاقة اليقين بالعقل، ص (١٣٧-١٣٨). وفخر الدين الرازي وأراؤه الكلامية والفلسفية، للزرکان، ص (٦٠٦-٦١٦). وموقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة (١/٢٢).

(١) مجموع الفتاوى (٤/٩٥-٩٦). وانظر: الفرقان بين الحق والباطل. المطبوع ضمن مجموع الفتاوى (١٣/١٧٥). والتسعينية، ضمن مجموع الفتاوى (٥/٢٩٩). ونقض التأسيس (٢/٣١٣). ونقض المنطق، ص (٤٩). ودرء تعارض العقل والنقل (٦/١).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/٣٧٧). والصواعق المرسله (٢/٦٣٢).

(٣) انظر: حاشية الصاوي على الجلالين (٣/٩).

(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/٨٩). ومجموع الفتاوى (٤/٧١-٧٢). والفرقان بين الحق والباطل، ضمن مجموع الفتاوى (١٣/٢٥). وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/٧٩٢-٨٠٢).

(٥) انظر: الإرشاد للحوييني، ص (١٨٠-١٨١). ونقض المنطق، ص (٤٢). ودرء تعارض العقل والنقل (١/١٥٨-١٥٩). ومنهاج السنة (٢/١٩٠). والصواعق المرسله (٣/١١٨٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إنك تجدهم أعظم الناس شكًا واضطرابًا، وأضعف علمًا ويقينًا، وهذا أمر يجدونه في أنفسهم، ويشهده الناس منهم... وما زال أئمتهم يخبرون بعد الأدلة والهدى في طريقهم... حتى قال أبو حامد الغزالي: أكثر الناس شكًا عند الموت أهل الكلام. وهذا الرازي من أعظم الناس في هذا الباب، باب الحيرة والشك والاضطراب)<sup>(١)</sup>.

ولهذا اعترف أكثر أئمة أهل الكلام بأن أكثر الطرائق التي سلكوها في أمور الربوبية بالأقيسة التي ضربوها لا تفضي بهم إلى العلم واليقين<sup>(٢)</sup>.

(٥) كثرة جدلهم بالباطل وتتبع المتشابه لتأييد آرائهم.

(٦) كثرة الافتراق والاختلاف بينهم، وتكفير بعضهم بعضًا، مع ادعاء كل منهم أن الذي يقوله هو الحق المقطوع به، وأن قول خصمه مقطوع بطلانه<sup>(٣)</sup>.

(٧) الغلو في تعظيم العقل وإقحامه فيما لا يدركه ولا يحيط به، وجعل عقول الناس هي الحاكمة والقاضية فيما يؤخذ ويرد من العقائد، حتى أصلوا أصولاً عقلية، وكفروا وفسقوا أو خطأوا من خالفها<sup>(٤)</sup>.

(٨) قلة الورع، وارتكاب الفواحش، حتى عُرف عن بعضهم شرب الخمر، والتثاقل عن الصلاة، والكذب، والطعن في الصحابة الكرام<sup>(٥)</sup>.

ومما يدل على فساد مذهبهم؛ رجوع كبار المتكلمين عن علم الكلام، بل ونقدهم وتحذيرهم منه، فمن ذلك:

أ- أبو الحسن الأشعري<sup>(٦)</sup> نشأ في الاعتزال أربعين عامًا، يناظر ويجادل عنه، ثم رجع عن ذلك، وصرح بتضليل المعتزلة، وبالغ في الرد عليهم، ثم ترك الاعتزال فكان أشعريًا، ثم رجع عن هذا المذهب إلى مذهب أهل السنة والجماعة، كما في كتابه الإبانة.

ب- أبو المعالي الجويني<sup>(٧)</sup>، يقول: (يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت

(١) نقض المنطق، ص(٢٥-٢٦). وانظر الصواعق المرسله (٤/١٢٥٩-١٢٦٣).

(٢) انظر: الاستقامة (١/٧٩). والصواعق المرسله (٢/٦٦٤-٦٦٩). وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/٨٩١-٨٩٥).

(٣) انظر: نقض المنطق، ص(٤٣). والتنبيه والرد، ص(٤٠). والفرق بين الفرق، ص(١٣٢، ١٦٦، ١٨٢، ١٩٧، ٣٦١).

(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/٣٧٧).

(٥) انظر: تأويل مختلف الحديث، ص(١٥-٣٧). والتبصير في الدين، ص(٧٢). والفرق بين الفرق، ص(١٥٠-١٧٣).

(٦) هو الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري (٢٦٠-٣٢٤هـ) أخذ مذهب الاعتزال عن شيخه أبي علي

الجبائي، ثم ترك الاعتزال فكان أشعريًا، وإليه يتنسب الأشاعرة مع أنه رجع عن هذا المذهب إلى مذهب أهل السنة

والجماعة كما في كتاب الإبانة. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٥/٨٥-٩٠). والبداية والنهاية (١١/١٩٩-٢٠٠).

ومقدمة كتاب الإبانة، تحقيق الشيخ/ حماد الأنصاري، وتقرئظ سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله. وقد ألف ابن

عساكر كتابه (تبيين كذب المفتري) في التعريف بأبي الحسن والدفاع عنه.

(٧) هو أبو المعالي، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني النسابوري، نسبة إلى جوين من قرى نيسابور، (٤١٩-٤٧٨هـ).

به)، وعند موته يقول: (لقد حضت البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي نُهوي عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل للجويني، وها أنا أموت على عقيدة أُمي، أو قال: على عقيدة عجائز أهل نيسابور)<sup>(١)</sup>.  
ج- وهذا الرازي<sup>(٢)</sup> الذي يُعد من كبار المتكلمين، وأطولهم باعاً في علم الكلام، يقول: (لقد تأملتُ الطُّرُقَ الكلامية، والمناهجَ الفلسفية، فما رأيتها تشفي عَليلاً، ولا تُروِي غليلاً، ورأيتُ أقربَ الطرق طريقةَ القرآن... ومَن جَرَّبَ مثل تجربتي عرف مثل معرفتي)<sup>(٣)</sup>.

وهذا من أكبر الأدلة على فساد مذهب المتكلمين، وصحة مذهب السلف، وذمهم للكلام وأهله.

### موقف السلف من علم الكلام وأهله.

لقد كثرة أقوال السلف في ذم الكلام وأهله، والنهي عن الخوض فيه و التحذير منه تحذيراً شديداً، وبيان أضراره، وأنه لا يأتي بخير. وصنفوا في ذلك المصنفات الخاصة في ذمه والرد على أهله<sup>٤</sup>، والنهي عن الخوض فيه، وحكموا بتجهيل أهله وتضليلهم، ودعوا الناس إلى الالتزام بمنهج السلف الأصيل في تلقي العقيدة والاستدلال عليها، ونبد البدع والمحدثات في الدين. قاموا بذلك إظهاراً للحق وأداءً لواجب النصيحة.

والمستبع لكلام السلف يجد أن أقوالهم قد تواترت في ذم الكلام وأهله مطلقاً<sup>(٥)</sup>. فمن ذلك:

انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، (١٨/٤٦٨-٤٧٧). وتبين كذب المفتري، ص(٢٧٨-٢٨٥).

(١) انظر: نقض المنطق، ص(٦). وسير أعلام النبلاء، (١٨/٤٧١). وطبقات الشافعية للسبكي، (٥/٥٨٥).

(٢) هو فخر الدين، محمد بن عمر بن الحسين القرشي التيمي البكري الطبرستاني الأصولي المفسر، (٤٤٤-٦٠٦هـ). يقال له: ابن خطيب الري. قال عنه الذهبي: (وقد بدت منه في تواليه بلايا وعظام وسحر وانحرافات عن السنة، والله يعفو عنه، فإنه توفي على طريقة حميدة، والله يتولى السرائر).

انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، (٢١/٥٠٠-٥٠١). والبداية والنهاية، (١٣/٦٠-٦٢).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (١٠/١٦٠). والوافي بالوفيات (٤/٢٥٧). وشذرات الذهب (٥/٢١-٢٢). وسير أعلام النبلاء

(٢١/٥٠١). والبداية والنهاية (١٣/٦١). وهذا جزء من وصيته التي أوصى بها تلاميذه، عند موته.

<sup>٤</sup> من تلك المصنفات: رسالة في الغنية عن الكلام. لأبي سليمان الخطابي (ت٣٨٨هـ). وقد نقلها السيوطي في كتابه صون

المنطق والكلام ص(٩١-١٠١). والرد على أهل الكلام لأبي عبد الرحمن السلمي (ت٤١٢هـ). وهو كتاب في حكم المفقود.

وذم الكلام وأهله. لأبي إسماعيل الهروي (ت٤٨١هـ). يروي فيه بإسناده من طريق أبي عبد الرحمن السلمي. ويعد هذا الكتاب

بحق موسوعة فريدة في هذا الباب. وهو من أجمع الكتب. وأحاديث في ذم الكلام وأهله، انتخبها الإمام أبو الفضل

المقريء (ت٤٥٤هـ) من رد أبي عبد الرحمن السلمي على أهل الكلام. وأضاف عليه بعضاً من الآثار الأخرى. والانتصار لأهل

الحديث. لأبي المظفر ابن السمعاني (ت٤٨٩هـ). وقد لخصه السيوطي في كتابه صون المنطق. ص(١٤٧-١٨٣). وإلجام العوام

عن علم الكلام. لأبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ). مطبوع. وتحريم النظر في كتب الكلام. لابن قدامة (ت٦٢٠هـ). مطبوع.

والرد على المنطقيين. لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ). مطبوع. ونقض المنطق. لشيخ الإسلام ابن تيمية. مطبوع. وصون

المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام. لجلال الدين السوطي (ت٩١١هـ). مطبوع.

(٥) انظر: النبوات، ص(١٤٥).

(١) قول الشافعي رحمه الله: (لأن يبتلي المرء بكل ما نهي عنه ما عدا الشرك به، خير من النظر في الكلام، فإنني والله اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط)<sup>(١)</sup>.

بل إنه رأى الحكم بضرهم وتعزيرهم، فقال: (حكيم في أهل الكلام: أن يضربوا بالجريد، ويجلسوا على الإبل، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، وينادى عليهم: هذا جزء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام)<sup>(٢)</sup>.

وعنده أن كتب الكلام لا تدخل في مسمى العلم عند الإطلاق، حيث قال: (لو أن رجلاً أوصى بكتبه من العلم لآخر، وكان فيها كتب الكلام لم تدخل في الوصية؛ لأنها ليست من العلم)<sup>(٣)</sup>.

(٢) قال الإمام أحمد رحمه الله: (لا تجالسوا أهل الكلام، وإن ذبوا عن السنة)<sup>(٤)</sup>. وقال: (لا يفلح صاحب كلام أبداً، ولا تكاد ترى أحداً نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل)<sup>(٥)</sup>. وقال: (علماء الكلام زنادقة)<sup>(٦)</sup>.

(٣) قال الإمام البرهاري<sup>(٧)</sup>: (إياك والنظر والجلوس إلى أصحاب الكلام، وعليك بالآثار وأهل الآثار، وإياهم فسأل، ومعهم فاجلس، ومنهم فاقبس)<sup>(٨)</sup>. وقال: (اعلم أنه لم تكن زندقة ولا كفر ولا شكوك، ولا بدعة، ولا ضلالة ولا حيرة في الدين إلا من الكلام، وأهل الكلام والجدل والمرء والخصومة والعجب)<sup>(٩)</sup>.

(٤) وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: (فأما الدخول مع ذلك في كلام المتكلمين، أو الفلاسفة، فشر محض، وقل من دخل في شيء من ذلك إلا وتلطخ ببعض أوضارهم)<sup>(١٠)</sup>.

والآثار عن السلف في ذم الكلام وأهله والتحذير منهم أكثر من أن تحصى<sup>(١١)</sup>.

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١١١/٩). والمهروي في ذم الكلام، ص (٣٥٥). واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٤٦/١). وابن عساكر في تبين كذب المفتري، ص (٣٣٥).

(٢) رواه المهروي في ذم الكلام، ص (٣٥٦).

(٣) المرجع السابق، ص (٣٥٧).

(٤) رواه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد، ص (٢٠٥).

(٥) جامع بيان العلم وفضله (٩٥/٢).

(٦) تلبس إبليس، ص (٨٣).

(٧) هو أبو محمد الحسن بن علي بن خلف، شيخ الحنابلة في وقته، كان عالماً زاهداً، فقيهاً، واعظاً. توفي سنة (٣٢٩هـ).

انظر ترجمته في: البداية والنهاية (٢٠١/١١). وسير أعلام النبلاء (٩٠/١٥-٩١).

(٨) شرح السنة، للبرهاري، ص (٤٨).

(٩) المرجع السابق، ص (٣٨).

(١٠) فضل علم السلف على علم الخلف، ص (٣٢).

(١١) انظر أقوال السلف في ذم الكلام وأهله: ذم الكلام للهروي. وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لللالكائي

(١/١١٥-١١٤)، (٣/٥٢٨-٥٣٣)، (٤/٦٢٧-٦٣٤، ٧٠٦-٧٣٧). والإصابة لابن بطة (١/٣٢٤، ٣٠٩). وجامع

بيان العلم وفضله (٩٢/٢-٩٥). ومجموع الفتاوى (١٧/٣٠٤-٣٠٦، ٣٤٦)، (٥/٣٣٦-٣٣٧). والرد على الجهمية

لدارمي، ص (٣٤٦-٣٥٢).



### سبب ذم السلف لعلم كلام وأهله.

- عند التأمل في أقوال السلف نجد أن هناك أسباباً عديدة دعت السلف إلى ذم الكلام وأهله، من أهمها:
- (١) لم يرد الأمر به لا في الكتاب ولا في السنة. فلو كان علم الكلام من الدين لأمر به الرسول ورغب فيه وأثنى على أهله. جاء رجل إلى الإمام إسماعيل بن يحيى المزني<sup>١</sup> تلميذ الشافعي (ت ٢٦٤هـ)، فسأله عن شيء من الكلام، فقال: إني أكره هذا، بل أئمى عنه، كما ئمى عنه الشافعي، ولقد سمعت الشافعي يقول: سئل مالك عن الكلام والتوحيد، فقال مالك: (محال أن يظن بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد، والتوحيد ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحقها، وحسابهم على الله)<sup>٢</sup> فما عُصم به الدم والمال فهو حقيقة التوحيد)<sup>٣</sup>.
  - (٢) أن المتكلمين يقولون على الله ما لا يعلمون، ويفتنون الناس بأقوالهم، فكلامهم مشتمل على القضايا الكاذبة، والمقدمات الفاسدة المتضمنة للافتراء على الله تعالى، وكتابه، ورسوله ﷺ ودينه<sup>(٤)</sup>.
  - (٣) أن تحذير السلف من الكلام وأهله إنما كان خوفاً للفتنة، ولإيمانهم بأن الكتاب والسنة كافيان بما يحتاجه الناس من العقائد الصحيحة، ودفع الشكوك والشبهات<sup>(٥)</sup>.
  - (٤) أن علم الكلام يفرض بأهله إلى الشك والحيرة والاضطراب. ولهذا قال أبو حامد الغزالي: (أكثر الناس شكاً عند الموت أهل الكلام)<sup>(٦)</sup>.
  - (٥) أن المتكلمين في عرض مسائل العقيدة يخالف منهجهم منهج الكتاب والسنة، حيث عرضوا مسائلهم في قالب فلسفي جدي يحوطه التعقيد والجفاف والتخليط.
  - (٦) أن علم الكلام سبب الفرقة والاختلاف، فالمتكلمون أعظم الناس اختلافاً وافتراقاً<sup>(٧)</sup>.
  - (٧) أن المتكلمين ركزوا مباحثهم وكتبهم وأنفوا أعمارهم في البحث في توحيد الربوبية وإثبات دلالاته، مع أنه أمر فطري يقر به المشركون، وفي مقابل ذلك أغفل المتكلمون البحث في توحيد العبادة الذي هو أساس دعوة الرسل.
  - (٨) من الأسباب التي نفرت السلف من الكلام وأهله: ما رأوه من حال كثير من المتكلمين من قلة الورع، وضعف التمسك بشرع الله، وارتكاب ما حرم الله.

<sup>١</sup> هو الإمام الفقيه الزاهد، أبو إبراهيم، إسماعيل بن يحيى بن عمرو المزني المصري، تلميذ الشافعي، كان رأساً في الفقه، (ت ٢٦٤هـ).

انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٤٩٢/١٢)، وشذرات الذهب (١٤٨/٢).

<sup>٢</sup> أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلو سبيلهم) (٢٥/١)، ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام (٤٥/١) ح (٢٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

<sup>٣</sup> أخرجه الهروي في ذم الكلام، والذهبي في السير (٢٦/١٠). والسيوطي في صون المنطق، ص (٦٣).

(٤) انظر: تأويل مختلف الحديث، ص (١٢). ودرء تعارض العقل والنقل (١٧٧/٧). وتفسير سورة الإخلاص، ضمن مجموع الفتاوى (٣٠٤/١٧).

(٥) انظر: الحجة في بيان المحجة، ص (١٥). وصون المنطق، ص (٣٠-٣١).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨-٢٧/٤)، (٢٤٦/١٧).

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (٥٢-٥١/٤).

٩) وسبب ذم السلف لعلم الكلام لاشتماله على كثير من البدع والضلالات في المسائل والدلائل. ولما كان المتكلمون يعتقدون أن ما هم عليه حقٌ سمو هذا العلم البدعي بأسماء شريفة: كعلم التوحيد وأصول الدين ونحوهما، وهذا لا يغيّر من الحقيقة شيئاً، وهي تسمية فاسدة لفساد أصلها.

ثم هاهنا أربعة تنبيهات متعلقة بدم السلف للكلام وأهله، يتبين بها المقصود في عباراتهم المحذرة من الكلام وأهله:

**التنبيه الأول:** أن السلف الذين ذموا الكلام وأهله، لم يذموا جنس الكلام، فإن كل آدمي يتكلم. ولا ذموا الاستدلال والنظر والجدل الذي أمر الله به ورسوله ﷺ. ولا ذموا كلاماً هو حق؛ بل ذموا الكلام الباطل المخالف للكتاب والسنة والعقل<sup>(١)</sup>. ولهذا صار مصطلح الكلام عند السلف خاصاً بالكلام المذموم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فالسلف ذموا أهل الكلام الذين هم أهل الشبهات والأهواء، لم يذموا أهل الكلام الذين هم أهل كلام صادق، يتضمن الدليل على معرفة الله تعالى، وبيان ما يستحقه وما يمتنع عليه)<sup>(٢)</sup>.

**التنبيه الثاني:** أنهم لم يذموا الكلام المجرد اشتماله على ألفاظ اصطلاحية إذا كانت معانيها صحيحة<sup>(٣)</sup>.

**التنبيه الثالث:** أن المتكلمين ليسوا في منزلة واحدة في استحقاق الذم؛ بل هم على درجات، فبعضهم أقرب إلى السنة من بعض؛ لأن منهم من اتخذ علم الكلام منهجاً، وخالف بذلك الكتاب والسنة على بصيرة. ومنهم من تابع أهل الكلام واتخذ بأقوالهم؛ لعدم معرفته للحق في بعض المسائل، ولا سيما في دقيق العلم، فأخطأ في ذلك لجهله وعدم معرفته الكاملة بالكتاب والسنة وأقوال السلف مع تعظيمه لنصوص الشرع ونصرته للحق، فهذا لا يقارن بمن حرف الكلم عن مواضعه، وأصل أصولاً جعلها حاكمة على الشرع<sup>(٤)</sup>.

**التنبيه الرابع:** أن السلف مع ذمهم للكلام وأهله قد يضطرون أحياناً للبحث والمناظرة في بعض المسائل الكلامية؛ لدفع شبهات الكفار والزنادقة والمبتدعة الذين يدعون العلم بدقائق العقول، ثم يطعنون في الإسلام والسنة<sup>(٥)</sup>.

ولهذا يقول الإمام الدارمي رحمه الله: (وقد كان من مضى من السلف يكرهون الخوض في هذا وما أشبهه، وقد كانوا رزقوا العافية منهم، وابتلينا بهم عند دروس الإسلام، وذهاب العلماء، فلم نجد بدءاً من أن نرد ما أتوا به من الباطل بالحق)<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: الفرقان بين الحق والباطل. رسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى (١٤٧/١٣). والنبوت، ص (١٥٦-١٥٧).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١٨١/٧).

(٣) انظر: الصواعق المرسلّة (١٢٧٤/٤).

(٤) انظر: الاستقامة (٣٦-٣٧، ١٦٤-١٦٥). والنبوت، ص (١٥٩). ودرء تعارض العقل والنقل (٣١٥/٢)، (٩٨/٧). ومعارض القبول (٣٤/١).

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٤٣/١)، (١٨٤-١٨٥/٣). والقائد إلى تصحيح العقائد للمعلمي، ضمن التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل (٢٣٧/٢).

(٦) الرد على الجهمية، للدارمي، ضمن عقائد السلف، ص (٢٥٩).

بل يرون أن من لم يناظر أهل البدع، ويدحض شبههم لم يعط الإسلام حقه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم، لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وقى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور، وطمأنينة التقوى، ولا أفاد كلامه العلم واليقين)<sup>(١)</sup>.

وهذا نعلم عذر من خاض من السلف في المسائل الكلامية، وأهم لم يخوضوا فيها ابتداءً؛ بل اضطراراً ودفاعاً، ولعل من أبرز وأجل من كتب في الدفاع عن السنة، ومحاربة البدعة: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. والحاصل أن السلف في ذمهم للكلام وأهله إنما يقصدون بذلك ما أدخل في العقيدة من الدلائل والمسائل المبتدعة، والتي لم تأت في الكتاب والسنة، ولا تكلم فيها الصحابة والتابعون، وعباراتهم تنصرف إلى ذلك.